نصيب

قصة

بقلم الآنسة

سميرة عزام

خذها ، فسلطي تنتهي هنا !.

ان اباها لم يقل شيئاً من هذا حين اسلمها الى عريسها على باب الكنيسة، ولكنها احست بالعبارة وهي تأخذ اليد التي امتدت اليها وتسير تشق طريقها بين الحاضرين الذين نثروا سلال الزنبق الابيض عند اقدامهم .

لم ترفع عيناً ولكنها احست بكثافة الجو حولها ، احست بكتلة بشرية جاءت تتفرج عليها وتتفرج على بعضها، وتتزود بمادة لحديث لا ينتهي قبل ايام .

اذن فالامر حقيقة ، وها هي ذي تحضر على قدميها لتشهد الله، لتشهد الناس ، لتشهد الرجل الواقف الى يسارها بانها ستكون زوجة وفية ، كما كانت سارة لابراهيم !!

أكانت تريد ذلك حقاً ؟

يا لحيرتها هنا بين « نعم » و « لا »، ويالضآلتها أمام قوة غريبة اصطلحت امها وصويحبات امها من النسوة على تسميتها بالنصيب . وكانت قبلاً ترفض — وهي بنت المدارس — ان تعترف بكلمة رجعية في قاموسها ، كلمة ملأت راس امها وجدتها من قبل ، اما هي فليست من مدرسة « النصيب » هذه ، فالنصيب مخدر مسلوبي الارادة وما هي ، ما هي منهم .

ولكن اكان بامكانها حقاً ان تتمرد على النصيب الذي اوقعها بلا مقاومة مذكورة وبلا ادنى اثبات وجود او اختيار ؟ واعجب من هذا أو بعض هذا انها ما قالت « لا » .

ترى لم لم تقل « لا » ؟؟

ان « النعم » في مفهومها النفسي ارادة ايجابية فيها روح القبول ، فيها طعم الرضى ، فيها رائحة الشوق ، ولكن لم يكن (لنعمها) شيء من ايجابية هذه الاحاسيس .

كانت نعماً . . . وحسب .

والحكاية ليست قديمة .

قبل اربعة شهور او نحوها ، جاءت ام هذا الرجل — او قل جاء النصيب — يطرق بابها .

ولم تكن على معرفة سابقة بالمرأة ، ومع ذلك فقد فهمت بغريزتها معنى زيارة إمرأة غريبة لبيت فيه فتاة صبية، ولم تكن امها اقل منها فهماً، فنادتها لترجوها ان تضع على جسمها ثوبها الرمادي الجديد .

وشعرت بأنها تزدري امها اذ تقول هذا ، وتزدري اكثر هذه المرأة التي تريد أن تستكشف بنظراتها لون لحمها من تحت الثوب الكتاني البسيط الذي ترتديه .

وفي الليلة نفسها عادت المرأة ومعها ابنها . . . وتمردت هي وابت ان تخرج لتستقبلها إلا بعد الحاف من والديها . وجلست واجمة ، وكانت ثقيلة حين كانت تضطر الى الرد على اسئلة الرجل الذي حاول ان يلاطفها بها، وايقنت بأنها لن تعجبه اذ بدت امامه ضئيلة نوعاً ما ، وغاظها هذا اكثر فأكثر، فقد كانت تحب الناس الذين تتمكن من ان تطاق بعض شخصيتها على امتدادها ، ولم تشعر مع هذا انها تستطيع ان تكون هكذا ، ولو انه كان يحادثها كمن يحادث صغيرة .

ولما قاما اندفعت الى غرفتها لئلا تسمع صوت امها ينالها بعتاب شديد .

وبعد ايام عادت نفس المرأة اليهم .

وغاظتها من جديد زيارة المرأة ، فقد كانت اولا غير مستعجلة الزواج، وكانت ثانياً تفكر بأنها غصبة لا يمكن ان تتزوج على طريقة امها وعماتها ، وكانت ايضاً لا تستريح الى هذا اللون من الناس الذين يتكلفون الشخصية والذين تنكمش امامهم فتتلاشى ذاتيتها او لا تعود هي تهتم باثباتها .

ولم تدخل لتسلم ولكنها سمعت من خلال الباب الموارب صوت المرأة يسأل امها عنها .

وعاودها الشعور بالتوتر، فهرولت الى اقرب صديقة، ولما عادت وجدت امها في انتظارها على الباب فاتحة فمها وذراعيها ونفسها (عريس يا إبنتي عزيس ، ونعم « النصيب » تحسدك عليه الفتيات)

من قال لامها انها تريد عريساً تحسدها عليه الفتيات ؟؟ من قال لامها انها تقبل ان تخطب هكذا ؟ من قال . . ؟

— اترفضين . .

— نعم . . . .

قالتها وتركت امها في ثورة تصطخب .

وفي المساء زارهم الرجل .

لم أسمه الرجل ؟ الانه كان يستحق الكلمة؟ قد يكون. فقد كان رجلاً في سنه ، رجلاً في حركاته، رجلاً في تفكيره ، وكان معتزاً بهذا كله اكثر مما تحب .

وخطبها . .

وعاشت في الدوامة شهراً اصرت في نصفه الاول على (اللا). الا انها في نصفه الثاني بدأت تفكر . لم يحاول أبوها ان يغريها ، كل ما فعله هو انه بسط حسناته وزكاه ليكون زوجاً .

وحاولت امها ان تمثل دوراً حيادياً فخذلتها طبعتها . كانت امرأة فظلت توسوس لها كلما وجدت فرصة الى ذلك .

وهي ؟

وسط الحاح امها ، واهلها جميعاً وجاراتها وجدت نفسها تتنازل عن اصرارها وتفكر تفكيراً فيه بعض جدة .

لتأخذ هذا الانسان جملة وتفصيلا ، انه مقبول الشكل ، هذا واضح ، وناجح في عمله، يشهد بهذا متجره في السوق ، ومظهره ، وكل من تطوع للتحدث عنه . قوي الشخصية ، اجل، والا لما كان رجل اعمال ناجحاً . مثقف الى حد ما ، او ثقفته الحياة اكثر مما فعلت فيه المدارس. وثقافة الحياة افعل في وافع الحياة ، كما يشهد الناجحون في الدنيا . فهو اشياء لم تحبها ، غرور ليس الى حد الفساد ، حب المظاهر لم يكن في طبيعتها . مثلاً لقد استسخفت ان تكون ساعته ذات سوار ذهبي، وكرهت (جداً) ان يضع دبوساً في ربطة عنقه ، ولا تدري غير هذا من امره شيئاً .